Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دكتورة نعمات أحمد فؤاد

# الجمال والحرية والشخصية الإنسانية في أدب العقاد

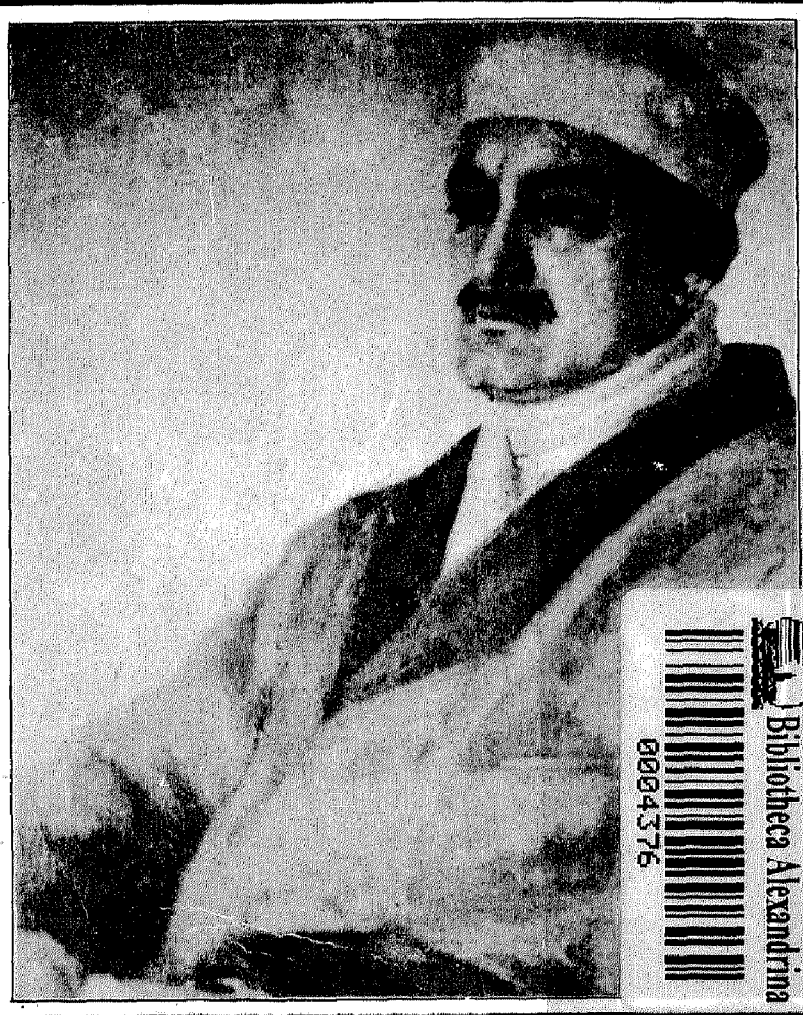

Bibliotheca Alexandrina
0004376

دار المعارف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# الجمال والعربية والشخصية الإنسانية
# في أدب العقاد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دكتورة نعمات أحمد فؤاد

# الجمال والحرية والشخصية الإنسانية
# في أدب العقاد

دار المعارف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الناشر: دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# الباب الأول

# الجمال والحرية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# العقّاد

**وكأنه منذور للمعبد . . . فقد وهب نفسه للكتابة ووهبت نفسها له . .**

هى صاحبته والولد . . . لا يكاد يخلو إلى نفسه أو إلى الناس إلا وهو على موعد معها يعود إليها فيه؛على أنه فى خلوة الظاهر، لا يخلو حسه وشعوره منها. فهو مع الناس تعيش معه فكرة فى عقله ، أو صورة فى عينه ، أو مسئولية فى ضميره ، أو خاطراً فى خياله ، أو خلجة فى شعوره . . لا يذكره الناس وما أكثر ما يذكرونه — إلا مقترناً على لسانهم بكتاب جديد ، أو رأى جديد أو فتح جديد فى عالم الكتابة . . عالمه . . يراه الناس وحده ، ويرى نفسه فى جمع لا تمل صحبته ولا تذم رفقته ولا ترث صداقته . . صداقة صافية صفاء الخير ، سامية سمو الأدب ، صداقة أدباء يعيشون معه فى بيته . . ويعيش معهم فى نتاجهم. يطلون عليه أينما يخطو من زجاج المكتبات العديدة المنتشرة فى داره حتى لتكاد تحجب جدرانها وتخفى معالم أثاثها. فى كل ركن ، فى كل زاوية ، فى كل ردهة ، فى كل حجرة أكداس مركومة من الكتب بعضها سمح الوقت بتنسيقها والبعض ينتظر دوره فى القراءة . . ومكانه على الرفوف الخاصة . . يراه الناس حياة عريضة خصبة وأراه حيوات كثيرة. ويعيش المرء أيامه ويعيش هو أجمل أيام العباقرة المحيطين به

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



فى صمت وزهرة حياتهم . . وتثير وحدته من التفاسير ألواناً . . إنها ظاهرة عجيبة فى دنيا التطاحن والصراع والزحام والتدافع والجلبة والطنين واللغط . . هذا الرجل المتوحد المتشامخ كيف يعيش ؟ . . ويذهبون فى الجواب أشتاتاً . . يراه قوم هادياً كالشعاع . . عالياً كالمنار . . وارفاً كالظل . . زاخراً كالنهر . . عميقاً كالبحر . . حالياً كالروض . . رحباً كالأفق . . خصيباً كالوادى . . مترفعاً كالأسد . . مصعّداً كالنسر . . مهيباً كالعلم . . عنيداً كالجبروت . . لا يرجو ولا يخشى ، إذا تكلم أسمع ، وإن حاجى أقنع ، وإن عادى أفحم ، كثير بنفسه ، سلاحه لا يفل ، وصبره لا يمل ، وجده لا يكل ، وطاقته لا تنضب ، كأن وراءها مدداً يرفدها من سر الخلود أو من روح الله. ويفرض عليه آخرون برودة الوحدة وكآبة الوحشة وجدب القلب وفراغ البيت حوله من إنسان يعيش له ويرتجيه . إنسان يخرجه من جوه بين الحين والحين . لا بل إن المرء محتاج إلى التفاهة أحياناً تجدد شوقه إلى الجد فيعود إليه أنشط وعليه أقدر ، كما يحتاج محرك السيارة إلى الماء يبرده بعد سير طويل. ويؤيدون رأيهم بالشيوخ من القادرين يتخذون جليبة تقوم على مطالبهم فى مثل مسئولية الزوجة أو قريباً منها . أليس هذا دليل إحساس بالفراغ يحتالون على ملئه ؟ . . وهب هؤلاء يستغنون بهذا الحل عن بلادة فى التفكير أو بلادة فى الإحساس . . عن كثافة لا ينفذون معها إلى القيم العليا فى الزواج من سكن وأمان وراحة وتعاطف ومودة ورحمة ، ولكن الكاتب العبقرى وهو يدرك هذه المعانى كيف احتمل الحرمان ؟ ولا عبرة عند هؤلاء بهموم الأولاد ومشاغلهم ، فقد يدفع الملائكة الصغار الثمن فى لحظة ، يدفعونه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



ابتسامة منورة أو كلمة مسكرة ، أو لغواً عذباً أو لهواً منعشاً ، أو دعابة هانئة ، تغسل نفس المكدود فتسترد فى ظلهم الرطيب صفاءها وسلامها .

ويعودون من جولتهم وعلى لسانهم . . هذا السؤال لا يزال : كيف يعيش هذا الكاتب ؟ أيامه كلها قلم وكتاب حتى مجالسه وأسماره مع أدباء أى كتب حية . . حتى ضحكاته على نوادر أدبية . . هل أقفرت الحياة إلا من هذا ؟ إن الأدب جميل معجب ممتع شهى يستطيع أن يملأ القلب والنفس والحس جميعاً . . إنه موسيقى ذات أفكار ولكن على أن يكون هواية . . إن الفن ابن الموهبة والهواية ولكن إذا انقلب حرفة فقد الطلاوة والبهاء .

على أن الامتياز ١٠٠ ٪ كما يقول الرياضيون مخيف . . إنه فى هذه الحالة يضمر القلب ويغدو العقل مسيطراً على نفسه وتغدو الحياة بدورها جافة صعبة . . هل يمكن للجسم أن يكون رأساً فقط ، لا بد من أعضاء صغرى تؤكد إنسانية الحى . . تؤكد وجوده . . لا بد من رجلين تسعيان . . ويدين تصفقان ولسان يتكلم وثغر يضحك وحسب العقل أن يهيمن . . أن يسيطر . . حتى فى هذا لا بد له من التجاوز لحظات أو حتى ساعات لتلوين الحياة .

ومرة أخرى يعودون إلى الكاتب العملاق والسؤال على لسانهم لا يزال : كيف يعيش فى هذه السن العالية ؟ أين الراحة التى يرتاح إليها فى شيخوخة العمر ؟ والحقيقة أنى ضعيفة أمام هذا السؤال . . إنى ممن يحبون الحياة حباً جمًّا وأرى فى كل مرحلة من مراحلها جمالاً خاصًّا لا يفوقه جمال الصبا وربيعه . . يخيل إلىّ أن الرجل أو المرأة أعنى الزوج والزوجة فى الكبر ، يحب كل منهما الآخر أكثر من حبه لأولاده . . إنهما عندئذ عالم خاص . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



عالم من الأسرار . . من الذكريات . . من التجارب . . فسلم الحياة الطويلة لكل درجة فيه عندهما قصة . . وما أحلى العمر عند القمة . إن الشيخين لا غنى لأحدهما عن الآخر . . العلاقة بينهما معنى خالص . . معنى عميق لا دخل للجنس أو الشهوة فيه . . إنهما يجلسان على حافة نبع غير منظور من الذكريات المزدوجة . . من الأحلام المحققة والتى ظلت أمانى . . يعيش الفرد عمراً واحداً ويعيش كل منهما عمرين .

مسكين الكاتب العملاق فى توحده . . نخلة سامقة وسط الحجر . . **إرتكازه على شخصه فقط حين يرتكز كل واصل على ظروف محيطة** . . ووضعه وضع نادر فى الدنيا . . لقد زادت الفردية عنده على حدها . . فهو لا يهنئ ولا يعزى أقصد بشخصه ، ولا عبرة بالرسائل والبرقيات تنوب عنه . . فهو ليس قطب مجالس ، ومن ثم ترى حديثه كعود القصب مستقيماً صلباً وإن لم يحجب صلابته ما فيه من سكر. وكتابته كحديثه صلبة هى الأخرى دقيقة . . خير من تتمثل عنده دقة اللفظ العربي ومطابقته للفكرة . . **الكلمة عنده** ( **قفاز** ) محبوك ولو أنه أمد له فى الإتساع نصف نمرة لأراح بعض الناس، ولكنه يأبى ويصر لأن المسألة تتصل عنده بطاقة القدرة . ولهذا لا يتذوقه إلا متخصص . وقارئه إما أن يفهمه كله أو يتركه كله ، والكاتب فى الحالين كأن صومعته قد كتب عليها بيت المتنبي إن جاز أن يقبل صاحبها فى شموخه البالغ . . الاستعارة من أحد ولو كان عبقرى الشعر :

أنام ملء جفونى عن شواردهـــا ويسهر الخلق جراها ويختصم

ولكن لماذا يلوم الناس الكاتب ، لماذا لا يلومون ، أنفسهم ؟ هل من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



الضرورى أن يكون الكاتب هو المخطئ ؟ ولماذا لا يكون القارئ هو المختلف ولا أقول المتخلف ؟ لماذا لا يصعدون إلى الكاتب . . ويجشمون أنفسهم جهد الصعود بدلاً من أن يقولوا له . . انزل سلينا .

ولكنها كلمة لا يجرءون على كل حال ، مع هذا الكاتب أن ينطقوها فإن قالوها بمعنى أو بآخر فإنما يكون ذلك بعيداً فى الفضاء على طريقة دون كيشوت . والكاتب العملاق إذا تصدر للسؤال والجواب ألفيته موسوعة جامعة تتطوح الأسئلة ولا تعييه ، وتستعصى ولو فى نظر قائليها ولا تعدم عنده الجواب ! كيف اجتمعت له حقائق العلوم مع لطائف الأدب ولا سيما فى عصر التخصص الذى غدا الامتياز فى مادة واحدة كسب يزدهى صاحبه ويعليه ؟ كيف تهيأ له هذا كله ؟ قد يكون هذا هو السؤال الوحيد الذى يزهد فى الإجابة عنه .

على أن وضاءة النبوغ فيه ، ولألاء العبقرية ، وعبقرية العصامية لا تسكت نافهين يتصايحون حوله بالغل والحفيظة ، ومن عجب أمرهم أو أمر بعضهم على الأقل أنهم يقولون مالا يعتقدون إنْ هو إلا ابتغاء للشهرة أو رثاء للخصوم ، فإن حدث أن رقى صياحهم إليه كما يتصاعد الدخان إلى السماء لم يسكتهم واحداً واحداً بل يدعهم يطنون كالذباب ويتهافتون مثله حتى إذا تكاثر جمعهم وألهاهم التكاثر هشهم بمذبة واحدة فيتفرقون بكلمة منه جامعة أو لطمة منه رادعة يدخلون بعدها جحورهم كالنمل . . ومن الطريف قوله فيهم إنهم ( واغش بشرى ) يعجزه الصعود ويحنقه الهبوط . .

ميزته وعيبه **الفحولة** . . . كل إنسان فيه جانب أنثوى وجانب ذكرى ولكن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



العقاد جانب الذكورة فيه كان طاغياً . . . والفنان تخدمه صفة الأنوثة . . فالفنان رجلاً أو امرأة ، أم فى احتضان البذرة أى الفكرة وتربيتها . . ثم الخضوع للوحى أو التلقى الذى يقابل فى الطبيعة ، الحمل

التأنيث بالنسبة للإنسان وبصفة خاصة ، الفنان ، هو الاستقبال والتلقى والضيافة والإضافة . .

إن الصين حين تقول ( ين ) أى المؤنث تقصد المتلقى .

إن النفس البشرية مكونة من الثنائية المتضادة من الأنوثة والذكورة . .

كل صفات الجمال أقرب إلى الأنثى .

كل صفات الجلال أقرب إلى الذكر .

ولعل هذا سر انجذابهما أحدهما إلى الآخر . والإنسان المثالى عند أفلاطون إنسان لا هو ذكر ولا هو أنثى ، ولكن مزيج منهما ثم انشق قسمين ولهذا عندما يجد شق ، الشق الآخر ، فى الحياة ، يسعى إليه ويتكامل به ومعه وهو ما يسمونه الحب من أول نظرة .

الرجل والمرأة والطفل

أى الذكر والأنثى والأمل .

وجنت عليه الفحولة فى معاركه الأدبية والسياسية إذ دفعته إلى العنف وورطته فى خصومات لم يتأخر أصحابها عن التهجم العنيف . . . .

ومرة أخرى ميزته وعيبه ، **الإرادة الحديدية** . كانت هذه الإرادة وراء إنكاره لأستاذاً له[١] ولعل ثورة العقاد على المرأة انعكاس للمعاناة من الفحولة

---

( ١ ) اقرأ كتاب العقاد ( حياة قلم ) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



والإرادة الحديدية .

ومن فحولته وإرادته أنه يرى الرأى فيغدو عقيدة .

شب العقاد فى عصر افتقد الحرية**فعرف الجمال بأنه الحرية**مع أن الجمال عِدْل الحرية وصنوها . حتى التناسب وهو أحد مقاييس الجمال سلط العقاد عليه فحولة منطقة فيقول : ( . . . قد يتم تناسب الشكل فى وجه قسيم صحيح ثم لا يعجبك ولا تنشط إليه روحك لأنك لا تحس فيه ما يدل على حركة الحياة فى نفس صاحبه وذلك ما يسمونه بثقل الروح . . . ونـدع الأعضاء والأجسام وننظر إلى الفضائل والأخلاق فلانجد خصلة من الخصائل الجميلة المحمودة إلا وكان فيها معنى من غلبة الحرية على الضرورة ) أكد هذا فى ( مطالعاته ) و ( مراجعاته ).

حتى الأشياء طبق عليها نظريته فى الجمال الذى يراه تكاملاً بين الشكل وبين معنى يوحيه أو يضفيه ( فالمادة الصماء نفسها تتفاضل فى الجمال بحسب ما يبدو لها من حرية الحركة ومشابهة « الإرادة » فتروقنا النيران والرياح والأمواه ، وتطلق فى نفوسنا خوالج الحياة ، ونعاطيها شيئاً من العطف لا نعاطيه لغير الأحياء ، وليس لهذا فضل ظاهر على عامة الجماد إلا بما تخيله للناظر من حرية الإرادة ومحاكاة الحياة . ) .

لقد عاش العقاد شبابه فى ثورة ١٩١٩ التى جعلت كل مصرى بله الفنان **يلهج** بالحرية ويعتنقها . ومن هنا تأكدت نظرية الحرية وصارت عقيدة ، **حتى رفضه ( الوظيفة ) نابع من عقيدة الحرية .**

**اتخذ السياسة وسيلة لتحقيق الحرية بمعناها الواسع** . .حرية البلد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



وبالتالى حرية كل شيء فيه. . وفى مقدمة هذاقيم **الجمال والفن**. . وقد كان هذا وراء دفاع العقاد عن الدكتور طه حسين فى الأدب الجاهلي . . . كان موقفاً بطولياً رأى نفسه كرجل فكر وجماليات ملتزماً بالدفاع عن الحرية .

ومع تقديسه للحرية يعيد **النظام** خاصة فى حياته **الفكرية** . . . هنا تكون الحرية تنظيم القيود . . . إن لعبة كرة القدم لها قوانين ضابطة وأصول وقواعد . . فأولى الفن أن يكون له نظام مميز وإلاانقلب فوضى .

ومن الحرية ، **اهتمامه بالفرد** .

ومن الحرية ، **حربه الشيوعية** لأنها تلغي الفرد . . . وإهتمام العقاد بالفرد نابع **من ضمير البلد الذى ابتدع فن البورتريه** .

**حتى شكه الأول نوع من الارتفاع على النمطية** وتحرر منها ... ولعل نضجه العقيدى الأخير مرجعه أنه وصل بنفسه لا بالتلقين ...

إن مركز الإيمان ليس الشعور ولكن الخبرة التلقائية الدينية من تنمية الذات تصل إيمان صاحبها مباشرة بالله .

إن من يعكف على نفسه يتحسسها ويتفهمها يؤكد أهليتها للألهية وهذا كرامة .. وهذه التجربة .. هذه المعاملة مع اللاشعور هى الوسيط الذى تتدفق من خلاله التجربة الدينية ، حين يفتقد الإنسان الانطباعى الخبرة النفسية الناضجة التى تنسجها الدراسة المستأنية والتمحيص .

واستطاع الإسلام بواقعه وروائعه أن يكون رافعة وجدانية نقلت العقاد من القلق إلى مرتقى عال .

إن الوعى الدينى قدرة القلب البشرى على استشفاف المقدس فى الكون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



أو فى أعمال الإنسان ...

وغير هذا **التدين** فإنه ظاهرة . . . **عادة** قد تكون مجردة من الوعى الدينى وقد تتحول إلى الضد ... إلى نوع من الوثنية التى يحاربها **الدين** حين تكون التجربة الدينية خبرة مباشرة محققة ذاتية بوجود المقدس أى وعى دينى بلغ الرشد .

ينسبون إليه أنه قال فى مرحلة الشك حين سئل عن الله ( هانسيبه يدور علينا هو ) ... إذا صح صدور هذه القولة فقد يكون فيها من التسليم بالعجز ، إيمان يعدل ما فى ظاهرها من التمرد . . . .

على كل حال لقد دور عليه وجابه وشغله لحسابه فكتب كتابه ( الله ) ...

ومن اهتمامه بالفرد واعتداده بنفسه هو ، أنه **لم يترجم** إلا مجموعة قصص قلما يذكرها أحد .. ثم عدل وإن كان أشرف على سلسلة لفرانكلين .

المترجم عادة فى رأى الناس هو الرجل الثانى وهو معنى لا يطيقه العقاد .

ثم لماذا يترجم آراء الآخرين وعنده جديد دائماً ليعطيه ؟

وكما لم يترجم العقاد ، **لم يكتب المسرحية** ، لعمق إحساسه بفرديته ....

المسرحية تحتاج إلى معايشة الناس والانغماس فى حياة كل يوم .. وهذه ليست عند العقاد المعتكف المتوحد ...

**وينسحب هذا الكلام على ( القصة )** . ولهذا نجد القصة الوحيدة التى كتبها « سارة » قصته هو (١)

---

(١) كتب العقاد فى أوائل الثلاثينات قصة للسينما تسمى ( أنشودة الفؤاد ) بل وكتب أغانى الفيلم . . ولكن العملية أو العمل أقرب إلى التكليف منه إلى الانبعاث الشخصى أو الفنى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



المسرحية أشخاص متباينون وعلى المؤلف أن يتقمص كلاً منهم ... ترى هل يستطيع العقاد بعملقته أن يتقمص شخصية إنسان تافه أو مخطئ أو منحرف مثلاً ؟ مثل هذا التقمص ليس عيباً فى كاتب القصة بل قدرة من قدراته ولكن طبيعة العقاد لا هى تستطيعه ، ولا هى ترضاه ...

المسرحية يبدل ويغير فيها الإخراج المسرحى فهل يطيق العقاد هذا ؟

والمسرحية لا تحمل اسم المؤلف وحده ... إنما اسم المخرج والممثلين ... والعقاد فرد متفرد ...

المسرحية توزيع للذات .. والعقاد تجميع للذات وإدلال بها .. ودلال .

وحين أصدرت له دار الهلال قصة حياته ، خرجت فى كتاب اسمه ( أنا ) ـ وسواء لدينا أكان هذا الاسم من عنديانها أم من اختياره هو ، فإنه بلا شك استيحاء نافذ وتعبير صادق عن حقيقة ... إنه يؤكد من خلال هذا العنوان ( الفردية ) : إنه يقول : أنا الفرد ، لا أنانية ، ولكنه الإيمان بالإنسان ... إنه يقول أنا الكاتب لا المنشئ ... فقد عاش فى عصر العقاد ، الأديب المنفلوطى الذى كان يصوغ بأسلوب شاعرى ما يفكر فيه الآخرون أو يترجمونه له . ولكن العقاد ، أو الأصالة ، هو الذى يفكر ويدعو ويتعاطف أو يثور ... العقاد هو الكاتب لا المنشئ .

**أما القصة فقد كان يفضل بيتاً من الشعر عليها** ، لأن بيت الشعر يركز له التجربة الإنسانية أو الموقف الإنسانى فى ألفاظ قليلة ووقت قصير سريع ... ووراء هذا التفضيل خلفية من طبيعة العقاد وطبيعة القصة معاً ....

أما طبيعة العقاد فهو كرجل موسوعى يريد أن يقرأ ، وهو يفعل ، فى شتى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



أنواع المعرفة المتاحة .. وهو كرجل فكر ومسئولية يقرأ للمعرفة لا للتسلية أو حتى للمتعة الفنية ...

وهو كأسلوب شخصية أو شخصية ذات أسلوب كان منهجه فى القراءة أن يقرأ فى المادة العلمية أحسن ما كتب فيها ولأحسن كاتب فى هذا ، بل إن الكاتب المختار يقرأ له خير ما فى كتابه من الفصول الجامعة أو الفصول المركزة المقطرة تقطيراً ... خلاصة الخلاصة .

ولا يفرض العقاد هذه الطريقة على أحد فقد كان فى معرض حديثه عن عبد الرحمن شكرى يقول : ( إنه يقرأ أكثر منى ) ويستدل على هذا بأن عبد الرحمن شكرى يقرأ حتى للكتاب من الدرجة الثالثة ... وجهات نظر .

رجل كهذا وخاصة بعد أن بلغ نضجه الزمنى والفكرى لا يمكن ولا يتسنى له ، أن يقرأ ما تخرجه المطابع من قصص مئينية أو ألفية ....

ودعنا قليلاً من العقاد هل نحن أنفسنا نطيق هذا ؟ إن القصص الطويلة لا تجد فسحة من وقت إلا عند الشباب .. أما حين يمتد العمر وتغلو الساعات فإنها تكون محسوبة ... والإنسان لا يعطيها إلا باقتناع وقدر ... وليس من هذا ، البذل للقصص الطويلة إلا إذا كانت قمة لها قيمة معينة . . . وقد قرأ العقاد رباعية الإسكندرية للورانس داريل وكتب عنها كتابة من استوعبها .

إذن تفضيل العقاد الشعر على القصة له مبرراته المعقولة ولو من زاويته هو ، فليس كل قارئ أو حتى كاتب عنده هذا ( الانضباط الثقافى ) الذى كان يعيشه العقاد .

ولا وجه هنا للحديث فى هذا المجال عن الأشكال الهندسية وتشبيه فضل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



الشعر على القصة بفضل الدائرة على المربع كما يقول بعض ناقديه .

ويلغ من اعتزاز العقاد بإنسانيته وشخصيته وموهبته **أنه وقف شعره على نفسه والناس** فى وقت سار فيه الشعر فى ركاب السياسة والإمارة **فدواوينه الأولى أفكار وأعماق وتأملات ... أما دواوينه الأخيرة فغنائية** تعبيراً عن الإنسان فيه ، عواطفه وآلامه ...

والشعراء عادة يبدأون بالغنائيات وينتهون بالتأملات ولكنه العقاد الشخص والظروف .

ويراه بعض النقاد فى احتفاله بالفرد ، مرحلة لاحقة ومكملة لمرحلة الأفغاني والشيخ محمد عبده ولطفى السيد الذين كانت رسالتهم دعوة إلى « تعقيل الحياة » وترشيد الوعى ، فكان العقاد بشخصه ودعوته ، علامة لدور جديد يجد فيه الإنسان المصرى نفسه ، ويحترم ذاته وكرامته .

لم يفرغ بعد حديث الحرية ... فقد كانت معنى يلح على العقاد فى نثره وشعره وسلوكه وتصرفه .. كانت الحرية بالنسبة إلى العقاد قولاً وعملاً وكتابة لا شعاراً للزينة .

لقد ورد العقاد والمازنى الأدب الإنجليزى وكثيراً ما كانا يقرآن معاً مرجعاً بعينه أى أن ثقافتهما الغربية واحدة أو متلاقية . وكانا فى الحياة متلازمين على امتداد أربعين عاماً ... وكتب المازنى كثيراً عن الحرية .. ولكنها لم تكن عنده الوتر المتوفز كما كانت عند العقاد .

وصف المازني – نثراً – العصفور ، وصفاً كأنما هو بدع ريشة مصورة ملونة . ووصف العقاد – شعراً – العصفور فكان خط الحرية هو بيت القصيد ....

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



عصفور المازني ( يذهب إلى حيث يشاء ويحلق فى الجو ويسبح فى الفضاء . ويبصر وهو ناشر جناحيه كل ما بين الأرض والسماء . . . عصفور ينحدر على شعاع من نور الشمس أو خيط من ضوء القمر . . عصفور يرفع منقاره وهو طائر ويتلقى فى فمه الدقيق قطرة من المطر . . . عصفور يحط على أعلى فنن فى أسمق شجرة ، أو يهوى إلى الأرض ويخطو بين أغصان البرسيم فتحجبه ، ويضع بيضه الصغير فى حيث يروقه أن يؤلف عشه . . ويمد منقاره إلى الماء حيث يجده ويمص قطرة ويتلفت . . . عصفور لا يغير ثيابه ولا يبدل أفواف ريشه ولا يكون فى رأى العين مع ذلك إلا جميلاً . . . آه إنه روح الكون ولا شك فى العصافير والسحب سابحة تجوب الآفاق ، وفى الأزاهر والأشجار التى لا تكون إلا عطرة . ولا تبدو إلا حالية مونقة ولا يعتورها قلق ، ولا يساورها اضطراب ) .

وعصفور العقاد بين الأيك والأيك . . . بين السحب والروض . . بين الماء والشجر طائر مرفرف حتى بين الشباب والشيخوخة لا يسكن له جناح « مرفرفاً قط ما استقر » .

طار وليداً وطار شيخاً بَيْنَ البَسَاتِينِ والغُدُر

وهو سعيد سعيد لا يعنيه بل لا يخطر على باله الجنود والحشود والعروش والتيجان وما ينجم عنها ويعلق بها من مداهنة ومداراة وخوف وحذر وكل ما يكبل الإنسان من قيود تغتال حريته ووجوده :

حَطَّ على الغُصْنِ وانْحدَرْ أَقلُّ منْ لمْحَةِ البَصَرْ
مغـــرِّداً قطّ ما تَوانَى مُرفرفاً قط ما اسْتَقَرّ
كخِفّة الطِّفل فى صِباه لكنَّها خِفَّةُ العُمُـــر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



وُرودُه نَغْبَة فأخـــرى  من خوَّفَ الطائر الصَّدِر ؟
يُقاربُ السُّحْبَ ثم يَهوى  يُبشِّر الروضَ بالمطـــرْ
أصـدقُ من سار فى سرارٍ  بين الحَيـا العذب والشَّجَر
ويَسْتحِثُّ الرياحَ ضَرْباً  بخافقيْـــهِ فتبتـــدِر
أخبر بالنُّضج مُقلتـاه  ممَّن سقَى الحَبَّ أو بَـــذرْ

سله عن الجُنـد والزُّمـر  سله عن المُلك والسُّـرُر
لم يأتِه عنهمُ بـــلاغٌ  ولا دليلٌ ولا خَـــبَر
هذا هُوَ العيشُ فاغبطوه  عليه يا أيها البشـــر

ومع هذا لا تخلو حياته من المشاكل – وهل خلت حياة العقاد على الرغم من تركه للناس المناصب والمنافع والعروض ؟ ففى حياة العصفور الصقر الكاسر ، والنسر الجارح ، والشراك والشباك .

حَبائل الدَّهْر قانصاتٌ  من طار أو غاص أو خَطَر
إنها الحياةُ ذُخرٌ لصاحبها  وحارسُ الذخرِ فى خطر

وحين تهون على ناس أعمارهم يريقونها على الأرض ، أى على أعتاب الممدوحين ، يرى العقاد أن **الطير المغرد هو الشعر كله** ( لأنه هو الطلاقة والربيع والطرب والعلو والتعبير والموسيقية . فمن لم يأنس به ، لم يأنس بما فى هذه الدنيا من طبيعة شاعره ولم يختلج له ضمير بما فى الحياة من فرح وجيشان وتعبير) **وهكذا وصل العقاد بشعره ونثره بين عالم الطير وعالم الشعراء** . إنه من هذه الزاوية يذكرنى بشيللى فى قصيدته الجميلة عن ( القبرة ) .. إننا نرى القبرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



كثيراً ويبدو أنها دخلت فى خية الروتين ولكن « شيللى » شاعر لم ( تترتون ) رؤيته ... وكم غشى الروتين ، الرؤية وكم طمس أخرى . ولكن هذا بالطبع غير إشارات أخرى تزاوج بين عصفور العقاد وقبرة شيللى . وليس بين عصفور العقاد وقبرة صاحبه إلا خط خلو بال الطائر من العروش وأصحابها والعروض والزيوف . ولكن العقاد يستقل بوصف حركة العصفور ودنياه كما يستقل ببعد آخر ... وهو آفة ( حبائل الدهر ) التى تقنص كل شيء مهما ابتعد بنفسه .. تقنص كل ( من طار أو غاص أو خطر ) ...

العقاد منذ عشرات السنين يرى فى الطير عوالم شتى :

كل إلْفٌ له من الطير إلْفُ ... هكذا تَجْمُل الحياةُ وتَصفو
أملٌ يرتَقى ، وحب يُنـــاجِى ... ولسانٌ يشـــدُو وقلبٌ يَرِف
بكَ خفَّ الجناحُ يا أيهـــا الط ... يرُ وما كنت بالجنـــاح تخف
لُطفُ روحٍ أعار جنبيْك ريشاً ... فمن الرُّوح لا من الريش لطْفُ
ليس يُنميكَ للسَّماء جنـــاحُ ... بل غناءٌ عن الضياء يشِـــفُّ
إن مضَى الناس يعجبون قديماً ... كيف تَعْلو؟ عجبتُ كيف تَسِفُّ

حقًّا إن الطيور فيها من جمال الصياغة وتنوع الشكل ووفرة اللون ، وخفة الحركة فى الأرض ، ورفة الجناح فى السماء ما يجعلها من أجمل ما خلق الله .

إن الريشة فى حسن نظامها ودقته وحسمه ورياضة منحنياته ، وفى تمامه ، وملمسه ، وفى تماسك نسيجه ، مسرح كبير للفكر ...

فيض كبير تستطيع أن تسكبه ريشة من جناح طائر ....

ولأمر ما وضع المصريون القدماء قلب الإنسان فى كفة ، والريشة فى كفة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



إن القلب الذى يعادل الريشة فى هذه المعانى له جنة النعيم ...

لو تأملنا الجناح لأحسسنا أنه موجة بحر فى صورة أخرى من التشكيل ..

كم فى الطيور من سحر أشكال وألوان . إن الطبيعة فى باب الطيور كالمغنى الشرقى الذى يسهر الليل مع الليل ( يقسّم ) ويقول : يا ليل .

الطبيعة فى باب الطيور تبدع أنماطاً مختلفة .

وفى باب ( الحيوان ) تخلق أنماطاً متعددة وكذلك فى باب ( الحشرات ) .

والقرآن الكريم يقول : ( وما من دابة فى الأرض ولا طائرٍ يطير بجناحَيْهِ إلا أممٌ أمثالُكم ) . ( سورة الأنعام : آية ٣٨ ) .

من معانى الطير عند العقاد ، من واقع عبارته ، ( العلو ) ..

إن الطير فى طيره رمز للنفس الإنسانية فى تحليقها وشوقها إلى السامى .. إلى العالى .. رمز تطلعها ...

لقد تصور الغزالى فى رسالته ( منطق الطير ) الطيور ، رموزاً ، للنفوس ... وكان هذا منطلقاً للشاعر الفارسى فريد الدين العطار الذى نظم قصيدته الرائعة منطق الطير ....

والروح أغلى وأعلى ما فى الإنسان ، صورها ابن سينا فى صورة طائر فى أبياته :

هبطتْ إليكَ من المحلِّ الأرفَعِ ... ورقاءُ ذاتَ تعـــزُّز وترفُّـــــع

محجوبةٌ عن كل مُقلةِ عـــالم ... وهى التى سفَرَتْ ولم تتبرقَع

وصلت على كره إليك وربما ... كرهَتْ فراقك وهى ذاتُ تفجُّع

كما كان السهروردى يرى الروح ( عصفوراً ) والجسم قفصا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



العقاد إنسان حساس وشاعر فى نظرته رهافة وشمول – ومن الناس من يستخدم عينه جهاز إخطار . إشارة فقط – فهى نافذة إلى عوالم شتى ونافذة على دنى عريضة . إن نسيج الحياة فيه من الطيور والنبات والإنسان . والنظرة المقتصرة أو المبتسرة تورث الاضطراب ...

أن ندرك الطبيعة ككل هو الاتزان بعينه . فالحياة ليست أشتاتاً متفرقة ولكنها وحدة متكاملة . حتى ليقول العقاد للكروان :

أنا لا أراكَ وطالما طرق النُّهى ... وحْيٌ : ولم تظْفَرْ به عَيْنانِ
أنا فى جناحِكَ حيثُ غاب مع الدُّجَى ... وإن استقرَّ على الثَّرى جُثْمانى
أنا فى لسانك حيثُ أطلَقَه الهَوى ... مرحاً ، وإن غلَب السرورُ لسانى
أنا فى ضميرِكَ حيث باح فما أرَى ... سِرًّا يغيِّبه ضميرُ زمانى
أنا منك فى القلب الصَّغيرِ مساجِلٌ ... خفَق الربيعُ بذلك الخَفَقَانِ
أنا منك فى العيْنِ التى تَهَب الكَرَى ... وتضِنُّ بالصحَوات والأشجانِ
طِرْ فى الظلام بمهجةٍ لو صافحت ... حجَر الوِهاد لَهَمَّ بالطيرانِ
تُغنيك عن ريشِ الجَناح وعزمِه ... فَرْحاتُ منطلِق الهَوى نَشوانِ

كل هذا الخفق من المشاعر ، والدفق من المعانى يهديه العقاد الكروان .. حين يقول بعض الناس الطير ويقصد ( الدبان ) . . . ! .

فإذا ارتفع قليلاً كانت الطيور هى العصافير . . . !

بل أهدى العقاد ، الكروان ، ديواناً كاملاً ( هدية الكروان ) مع أن الشعر المصرى لم يلتفت إلى هذا الطائر المصرى حتى ليعجب العقاد فى مقدمة الديوان :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



من العجيب أنك لا تقرأ صدى للكروان فيما ينظم الشعراء المصريون ، على كثرة ما يُسمع الكروان فى أجوائنا المصرية من شمال وجنوب !

وأعجب منه أنك لا تقرأ فيما ينظمون إلا مناجاة البلابل وأشباهها على قلة ما تُسمع فى هذه الأجواء !

فكأنما العامة أصدق شعوراً من الشعراء ، لأنهم يلقبون المغنى بالكروان ولا يلقبونه بالبلبل ، فيصدرون عن شعور صادق ويتحدثون بما يعرفون .

**إن كثيراً من شعر العقاد الذى لا يقرؤه الكبار يجب أن نعلمه الأطفال** لنربطهم بروعة الحياة ، أو نعلمه الأم المصرية لتكون سباقة إليه قبل طفلها حين يكبر حتى لا يقول مقالة ذلك الذى قال عن أمه ، يكفيها فخراً أنى لها ابن ، امتداداً لادعائه النبوة .

من أوصاف الأدب العربي للسعيد ، القول : غنت بلابله . . . وهذا القول رمز عندى إلى أن داخل الإنسان فيه عوالم شتى منها،الطيور . . . فإذا كان سعيداً تغنى بلابله . . . وإذا كان تعيساً متطيراً تنعق فى داخله البوم والغربان ، وإذا كان ثرثاراً تنق فيه الضفادع . . . وهو بالغناء والنعيق وبأشياء أخرى كثيرة ، إنسان . . .

إن فى حديث العقاد عن الكروان تربية للوجدان . . .

والشعراء عندنا ينمون وجدان الناس على المستوى الأقى . . . البارودى شاعر عظيم . . . نفض التراب عما عندنا من جيد . . . وهذه بلا شك مرحلة . . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



وشوقى عارض الأقدمين وتفوق عليهم أحياناً كثيرة . . . ووفر لشعرنا أصواتاً كثيرة وملأه موسيقية . . . وهذه مرحلة .

عندنا فى العربية رثاء كثير ولكن نادراً ما نجد موقفاً كبيراً أمام الموت .

عندنا غزل كثير ولكن نادراً ما نجد موقفاً كبيراً أمام أجمل العواطف الإنسانية .

عندنا الكروان والعقاب والعصفور وكل ما ألهم العقاد الشعر لا الكلام ، ولكننا مررنا به بلا عطف أو تفضلنا عليه بالوصف ولكن من الظاهر لأننا انشغلنا باللغة لا بآفاق النفس واللغة مطلب يسير . . .

هل يغترف الكوز من البحر وهو كنوز ، أكثر من قطرات ؟ . .

ولكن الغواص إلى الأعماق يظفر باللؤلؤ والمرجان . . .

لماذا قال القرآن الكريم : ( وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ) .

( سورة الشعراء : آيات ٢٢٤ – ٢٢٦ )

لقد انتفى الصدق . . مثل هذا الشعر صناعة . . لقد أزرى القرآن بمثل هذا الشعر وهو أروع كتاب لا من الناحية الدينية فحسب ، ولكن من الناحية الأدبية الفنية الجمالية . . . ولكنه رأى الشعر الجاهلى الموجود وقت نزوله هواية وغواية يتنزل بالنفس حين يرتفع هو كأدب حقيقى راق بالنفس ويسمو بها . . .

وحتى اللغة كثيراً ما أسأنا إلى الألفاظ والمعانى . . فحرفنا معنى الحنبلة إلى الحذلقة والصرامة الصارمة ، مع أن الإمام أحمد بن حنبل من أرق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



الأئمة وأوسعهم أفقاً .

ولفظة ( البركة ) التى تعنى الزيادة والخير والنعمة أخرجناها عن مدلولها وأدخلناها فى جو السبهللة .

ومثل هذا لفظ ( الفن ) الذى يعنى فى التخريج الجديد ، البوهيمية .

فإذا لم نحرف الكلم عن مواضعه ، قلق به من التكرار المسئوم،موضعه . فنقول ونعيد حضارة سبعة آلاف سنة حتى باتت العبارة وكأنها اكتفاء وإيحاء بالجهد الجهيد وبالتالى النوم والراحة . . . مع أن سبعة آلاف سنة معناها عبء ومسئولية وكنز يستوجب السهر للحفاظ عليه .

* * *

والعقاد الشاعر والكاتب والمفكر يقدس مع الحرية الفن والفنان :

والشِّعرُ من نَفسِ الرحمنِ مقتبَسٌ  والشاعرُ الفـذُّ بين الناسِ رحمنُ

**والفن عند العقاد أعلى وأغلى من الأغراض والمنافع** . . إنه الحياة مصفّاة من الرتابة والآلية وغبار الاحتكاك اليومى . . . الفن عنده كشف لا وصف من الظاهر الخارجى . . .

( الأمة بغير علم ، أمة جاهلة ولكنها قد تكون على جهلها وافية الخلق والشعور . . . والأمة بغير صناعة أمة تعوزها أداة العمل ولكنها على هذا قد تكون صحيحة الحس صحيحة التفكير . . . والأمة بغير تعبير أمة مهزولة أو مشرفة على الموت ، وكذلك تكون الأمم التى خلت من الفنون لأن الفنون تعبير الأمم عن الحياة ) .

**وليس بفن عند العقاد الخطوط الصماء أو التصوير المحسوس** . . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



ليس بفن عند العقاد ما لا يحمل رؤى ممتدة تصل قلوبنا بقلب الفنان . فالظمآن لا يجديه شيئاً وصف الماء ولكن يرويه الشرب . . المذاق . . الذوق بكل ألوانه شيء ليس فى الكتب . . إنه كما يقول العقاد استعداد خاص وبذل خاص .

ليس الخطوط الصماء ولكن أناقة المبنى ولطف المعنى ونصاعة الشكل . . حشد من **الذخر والبشر** .

الذخر حين تنبثق الراحة من فرط الدقة ، وتكسو البساطة غزارة التركيب كالزهر يبهر بالألوان ، ولكنه بعد اللون عالم فسيح للفن . . وللعلم . . وللحياة . . أما البشر فسر من أسرار الشخصية المصرية . . إنه يغطى بحراً من الهموم . .

ولأمر ما يقترن فى ذهنى وشعورى ، الفن ، بالآية : ( يرزق من يشاء بغير حساب ) فعطاء الفنان ، وقد يكون فى عمل واحد ، قدره وتقديره بغير حدود . . . وإلا فأى حساب يقابل الموهبة نفسها ؟

يقول العقاد فى غنائه للكروان إذ يرفرف فى الفزيع الثانى :

يحدُو الكواكب وهو أخفى موضِعاً ... من نابغٍ فى غَمرةِ النِّسيانِ
ما ضَرَّ من غَنَّى بمثلِ غنائه ... أن ليس يَبْطِشُ بِطشةَ العِقبانِ

إن الجمال والفن قيمة كبرى عند العقاد . . . دونهما بكثير القوة والسطوة . . . ولغة الموسيقى أغنى عنده من لغة الحروف :

أغْنَى الكلامَ عن المقَاطِعِ واللُّغَى ... بَثُّ الحزين وفرحةُ الجذلانِ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



وهو يقرن بين المعرفة والموسيقى :

مُعلمةَ الإنسانِ ما ليس يعلَمُ ... وقائلةً ما لا يَبوح بِهِ الفَمُ
أعيدِى علىَّ القولَ أنصت وأستمع ... حديثاً له فى نَوْطةِ القلبِ ميسَمُ
حديثاً يناغِينِي وأذكرُ أننى ... تَسمَّعتُه والقَلْب وسْنان يحلُم
وأوغِل بالذكرَى فأزعُم أنه ... قَديمٌ كعهْد القلبِ أو هو أقدَم
أعيدِى علىَّ الصوتَ أنظر لعلنى ... أرى فى ثَنايا اللَّحنِ ما يُتوسَّم
ويا رُبَّ وجهٍ يطرق السمَع حسْنُه ... إذا غنَّتِ الأوتارُ أو يَتنسَّمُ

والجمال والفن جوهرهما عند العقاد ، **الصدق** . . . إن مقياس العمل الفنى ليس العرق كالأعمال اليدوية وحتى هذه ليس العرق وحده مقياسها فقد يعرق المرء لأنه يعمل خطأ . . ولكن المقياس أن يكون العمل إنسانياً أى مترعاً ببشرية العامل وحبه له ، وأن يكون الفن صادقاً وأميناً منبثقاً فى لحظة خلوص . . . والخلوص نقطة لا ترى . . . نقطة تلاقى الكيان الإنسانى بمذخوره ، مجمعاً ، فى سن القلم أو الريشة عند ملامستها للصفحة أو اللوحة .

هنا يكون الفن عطاء قلب . . وفيوض روح . .

والفنان الصادق عند العقاد رؤية جديدة للحقيقة . . . كشف لها فى داخل نفسه وخارجها . . . فهو يتفتح بالبصيرة النافذة ، للحقيقة حوله وفى أعماق نفسه . حتى الصورة الفوتوغرافية محكومة برؤية المصور نفسه .

ورؤية العقاد لكثير من أعمال الفنون التشكيلية وكتابته عنها ونقده التطبيقى لها ، رؤية بصيرية ، وكتابه ( **ساعات بين الكتب** ) **هو فى**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



**الحقيقة أيام بين المعارض والمتاحف أيضاً** ، كما أن بيته ليس مكتبة أدبية ضخمة فحسب ، ولكنه بيت يضم مع **المكتبة مجموعة موسيقية عظيمة** ومجموعة **لوحات** تتقدمها لوحة ( أنس الوجود ) للفنان هدايت، ولوحات من فن فناننا شعبان زكى ولبيب تادرس ومحمد حسن حتى ليقول الفنان الأستاذ بدر الدين أبو غازى :

( ليس من جيل العقاد مفكر أو أديب مثله عكست كتاباته اهتماماته بالفنون وأفصحت منذ البدء عن وجهة نظر بل عن يقين فى ضرورة الفن للمجتمع ، وعن مدلول الفن الجميل فى نظره ، ومصاحبة العقاد فى كتاباته تطلعنا على منهج متماسك فى النظر إلى الأعمال الفنية . ويصدر عن خلفية فلسفية لمعنى الجمال عنده ، ويقدم أمثلة تطبيقية تشير إلى ذوقه ومطالبه من العمل الفنى ، ويحدد مدارس وأعمالاً يؤثرها بحبه ) .

لقد نقد العقاد ١٩٢١ النموذج الأول لتمثال نهضة مصر وأخذ على الفنان محمود مختار ما فى أبي الهول فى النموذج من ملامح بطلمية . .

وقد وقع هذا النقد من الفنان المثال مختار موقع الأهمية العلمية لصحته ودقته فأخذ به وأخرج أبا الهول ، على هدى رأى العقاد ، فى صورة مصرية فرعونية .

والعقاد الفنان داخله مملوء النفس بمجالى الطبيعة ونداءاتها فهو :

كلما أشرَقَ فى الليلِ القَمَرْ
وسها الناسُ ولاذُوا بالحُجَرْ
خِلت أرواحاً تداعَتْ للسَّمرْ
زُمَراً تهمِس من حول زُمَـــرْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



أن هذا الحُسْنَ لا يمضِي هَدَرْ
حيثما أسْـفَـر نورٌ وانتشـــرْ

( ديوان وحى الأربعين )

فى النور يحلو فى عينه . . عين الفنان كل شىء :

فى الليلةِ القَمْراء ما أحْلَى النَّظـر  لكل شَىْءٍ لاحَ فى ضوءِ القمـر
حتى الثَّرى ، حتى الحَصى ، حتى الحجر

فإذا تنفس الصبح تهلل العقاد وهلل للنور . . للحياة :

صَفْحةُ الجوِّ على الـزَّر  قاء كالخَـدِّ الصَّقيلِ
لمعـةُ الشَّمسِ كعيْنٍ  لمعَتْ نحـوَ خليـلِ
رجفَـةُ الزهْرِ كجسْمٍ  هـزَّه الشـوْقُ الدَّخيـل
حيث يَمَّمتَ مـروج  وعلى البعـدِ نخيـل
قل ولا تَحفِـل بشىء  إنمـا العَيشُ جَميـل

( إنما العيش جميل ) وهو الذى لاقى فيه أهوالاً . ولكنه الفنان فيه الذى يحس ( رجفة ) الزهر و ( هزة الشوق الدخيل ) . إنه الفنان فيه الذى يسعده أبسط الأشياء فى أعين الناس وإن كانت أكبرها فى عينه هـو . . . .

حتى سهولة الكلمات فى هذه الأبيات تنم على نفس راضية منبسطة متطلقة ، فى ذلك الوقت على الأقل ، هذه البساطة تكاد تجعل الأبيات على غزارة مشاعرها عفوية . . . بريئة ، طفلة . . .

إنه العقاد الذى يرق هذه الرقة كلها فى الشعر وهو نفسه العقاد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



الذى اشتغل بالسياسة على أنها قضية حرية . وفى سبيل هذه الحرية والوطنية فجر قنبلتين فى البرلمان فى ٢٣ يونية عام ١٩٣٠ مهدداً الملك فؤاد بتحطيم الرأس الذى يعتدى على الدستور ؛ فإذا بالوفد حزب العقاد تأخذه المفاجأة المدوية كالقصر سواء بسواء بل كان العقاد أحياناً يتعمد تصعيد الهجوم حتى لا يترك للوفد وهو حزبه طريقاً للمهادنة أو المساومة .

وكانت صيحة العقاد **علامة كبيرة** نبذت الأحزاب خلافاتها على أثرها لتلتقى على طريق الدستور تعيده إلى البلاد .

وسرت اليقظة فى الحياة المصرية فظهر الفدائيون وسمع للمتفجرات دوى كأنه تجديد لدوى الكلمة المجلجلة . . .

وسارت المظاهرات .

وأسرّها القصر للعقاد . . . بل إن المعتدلين من نواب حزب الوفد استنكروا جرأته ! حتى رئيس الوفد لم يكن راضياً !

رئيس آخر كان راضياً وملبياً ذلك هو الشعب .

كان العقاد على بسطة الجسم وفراهة الطول ، ضعيف البنية ، ضعيف الصدر خاصة ، يتوقى البرد والحر ويتحرى ما يأكل وما يدع . . . ومع هذا استقبل الحكم عليه بالسجن ثابتاً من وثوق ، واثقاً من إيمان بالله والرأى والوطن .

ودخل السجن وهو يعرف ما ينتظره فيه من تهديد لحياته ، مرفوع الرأس . وخرج منه مرفوع الرأس رفيع التصميم . . .

لم تهدأ له ثورة داخل القضبان . . وحين انتهت المدة خرج من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



السجن ليقول بيتيه العتيدين :

وكنت جَنينَ السِّجن تسعةَ أشهرٍ وهأنذا فى ساحة الخُلْد أُولـــد

عِداتِى وصحْبى لا اختلافَ عليهِمُو سيعْهدُنى كلٌّ كما كان يَعهَـــد

لجأ القصر إلى المصانعة فعرض عليه أن يكون مدير الإدارة العربية فرفض .

عرض عليه العارضون منصب مدير دار الكتب فرفض .

ويرتقى العرض فيما بعد إلى منصب مدير الجامعة فرفض !

وفى وزارة الائتلاف الدستورى تعرض عليه الوزارة فيرفض .

**لم يستهوه منصب أو جاه أو منفعة فقد أسقط هذا كله من حسابه** مع كثرة ما عرض عليه منه . . . إنه لا يريد لأحد عنده من نعمة تُجزى حتى الوفد ثار عليه حين أنكر منه ما لا يرضيه . . . لهذا لم يدع استبداداً فى أى صورة من الصور إلا حمل عليه مستجيباً لنداء الكرامة والفكر معاً . . .

إنها رسالة الكاتب عرف الأمانة فيها ، وشرف الكلمة والرأى والضمير . . ( عباس محمود العقاد ) .

لو أن العقاد بتركيبته هذه ، جاء بعد القرن العشرين أى بعد أن فرغنا من عملية نفض الركام – فى الأدب والسياسة على السواء – وإرساء قواعد النهضة والتطلع إلى الغرب ثم اللحاق به وما يجرى هذا المجرى فى الميادين الأخرى من مصاولات أدبية وتيارات فكرية . . إلخ لو جاء العقاد بعد مرحلته التاريخية التى شدته إليها وغمسته فيها بحكم منطقها . . . لو عاش متخففاً من هذا كله لأعطى العقاد عطاءه كاملاً بلا تشتيت أو تفتيت فى النفس والجهد . . . فعند العقاد من الأصالة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



والفحولة الفكرية ما يعطى معه على الصعيد العالمى .

ولكن لعل هذه المرحلة التاريخية من حياة وطنه هى التى أصّلت دوره فى حياتنا الفكرية بما أصّله من معان ومضامين وإرساء قواعد وأفكار .

إن الدكتور ( طه حسين ) أستاذ أدب .

أستاذ جامعة ورجل دولة .

أستاذ يشرح ويفصل ويطوف ويربط وينقد ويعرض . . . ويستوزر ويحكم ويتمتع بهالات وشيات .

الدكتور طه حسين بهذا كله أستاذ أدب ورجل دولة .

ولكن العقاد رجل فكر وراهب صومعة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# الباب الثانى

# الشخصية الإنسانية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الأول

# عبقريات العقاد

الكتابة عن العبقرية والبطولة أو العباقرة والأبطال **خط واضح مميز في أدب العقاد** . وهذا الخط له أهمية خاصة عند الدارسين،فهو عنوان تندرج تحته عناوين كبيرة من حيث الموضوع والدلالة . فالشخصيات الإنسانية التي كتب عنها العقاد منها ما هو أدخل في فن التراجم ومنها ما هو مزيج فني بين الترجمة والدراسة الأدبية . وهي في الحالين وعلى أي الصورتين مفتاح من مفاتيح نفسه هو ، وشخصيته هو ، بل لعلها أهمها جميعاً وأقربها إلى دخول عالمه . . . الأدبي والإنساني .

وليست الشخصيات التي كتب عنها العقاد كلها من طراز واحد هو طراز العبقرية والتفرد المميز أو الامتياز الفرد ، فقد كتب العقاد عن عمر ابن الخطاب ، وعن عمر بن أبي ربيعة ، بل ظهر كتاباه عنهما في وقت واحد . ابن الخطاب بما في شخصيته الرائعة من مذخورات للكتابة وموضوعات للقلم ، وابن أبي ربيعة . . يحسن بي أن أترك الميدان لفارسه ، يقول الأستاذ العقاد : ( ابن أبي ربيعة ولا ريب ظاهرة أدبية ، وظاهرة نفسية قليلة النظير في الآداب العربية ، وحقه في الدراسة كحق جميع الشعراء المعروفين بهبة الفن وصدق التعبير . . وإنه لفي الطليعة الملحوظة من هؤلاء )(١) .

---

( ١ ) ص ٧ شاعر الغزل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



أما كون ابن أبى ربيعة شعره كله غزل وديوانه كله رسائل غرام فلا يثير دهشة عند العقاد : ( لأنه كان يعبر عن حاجة من حاجات عصره تتسع لدواوين )[١].

فابن أبى ربيعة يستحق الكتابة بما يمثل من حقيقة عصره : ( وإن لم يكن أفضل شعرائه نظماً ولا أبرعهم قصيداً ولا أقدرهم صناعة ، على إجادته الموفقة فى أبيات ومقطوعات )[٢].

كما كان فى شعره يمثل حياته هو أصدق تمثيل ( وإن أصدق الشعراء فنا وحياة لمن تعرفه بديوانه وتعرفه لديوانه )

وكتب الأستاذ العقاد عن النواسى بما هو ( شخصية ) يعرفها المتأدبون والقارئون والأميون على سواء بينهم وإن تفاوتوا بعد هذا فى ناحيته الفنية .

( شخصية تحجب حقيقتها – على الشهرة والذيوع – أغطية كثيرة جعلت دراستها النفسية ودراستها التاريخية موضوعاً يستحق الكتابة بما يبرز من هذه الحقيقة من وراء تلك الأغطية المضللة . وحسب الكتابة أن تمحص حقًّا وتدحض باطلاً وإن كان ( موضوع ) الحقيقة شخصية مأمونة كأبى نواس الذى لا يشفع له إلا عزو آفته إلى الضعف والشعور المغلوب لا إلى الشر والأذى )[٣]

ولئن كان حبه مشوباً بشهواته لقد كان لمحاسن الدنيا حب مطبوع

---

( ١ ) ص ٢٩ شاعر الغزل .

( ٢ ) ص ٦٢ » »

( ٣ ) ص ٧ » »

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



فى وجدانه وذوقه ، وكان له فى تلك المحاسن كما يقول العقاد وصف يكسو الحياة زينة ويصقل ما اخشوشن من شدائدها وأكدارها على نفوس الأحياء.

ويتساءل العقاد فى عطف ظاهر على الضعف الإنسانى :

( هل زادت عيوب أبى نواس مقدار الرذيلة فى الدنيا ، إن المقدار ليختلف هنا مع المقدارين ، ولكنهم لا يختلفون فيما زاده من ثروة النفس والبيان ) (١).

* * *

**دراسة العقاد لطرز مختلفة من الشخصيات فيه لون من المقابلة يعمد إليها** لأنها فى نظره وتقديره ( أنفع الدراسات النفسية فهى دراسة نافعة لفهم حقيقة الإنسان وفهم حقيقة الجماعات ، ونافعة لكل من يعنيه أن يحسن تقدير الأعمال الكبرى والدعوات الشاملة . . ونافعة لمتعة العقل وتوسيع آفاقه ) (٢).

لقد تناول العقاد أنماطاً مختلفة من الشخصية وترجم لهذه الأنماط **كلها بل ترجم العقاد للشيطان**. ويبدو أن الشيطان أعدته مثاليات العقاد فكفر بالشر ، وظفر بالعفو وإن كان هذا لم يدم طويلاً إذ غلب الطبع التطبع ، فاستكبر وعصى فاستحال حجراً ولكنه الحجر الذى يفتن العقول والألباب من خلال الصور والتماثيل الذى يتشكل فيها .

ليس الشعر وحده من وادى عبقر ولكن الفن التشكيلى أيضاً . .

---

( ١ ) ص ١٩٧ أبو نواس الحسن بن هانى .

( ٢ ) ص ١٨٣ » » » » » »

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



وقصيدة ( ترجمة شيطان ) فجرت فى الأدب العربي آراء ومواقف لعل أبرزها وأظرفها موقف الدكتور طه حسين فقد قال عنها : ( . . . قصيدة لن ينقضى إعجابى بها . وقد أقرؤها عشرين مرة أو ثلاثين . . . والسبب فى ذلك أنى أجد فيها كلمات قرأتها معنى جديداً ، أو معانى جديدة . ثم هذه الطرافة المدهشة . وتستطيعون أن تبحثوا عن مثلها فى الشعر القديم فلن تجدوا لها شبيهاً ) ومن أجلها قال : ( ضعوا لواء الشعر فى يد العقاد وقولوا للأدباء والشعراء : أسرعوا واستظلوا بهذا اللواء فقد رفعه لكم صاحبه ) .

وتهامس الخبثاء إنه يخلع عليه إمارة الشعر لتخلو له إمارة النثر .

وما كان العقاد أو طه حسين فى حاجة إلى التقسيم أو المقايضة الأدبية فإن تصدرهما لدولة الأدب يغنى فيه الواقع عن التنصيب والتلقيب .

ومن الطريف أن الدكتور طه حسين على إثر محاولات نقدية بينهما ، أنكر أنه بايع العقاد بإمارة الشعراء ! فى مقال له بجريدة الجمهورية .

* * *

ما هو الخط الرابط بين النماذج المختلفة التى قدمها لنا العقاد ؟ لقد تناول ألواناً مختلفة من الموضوعات بينها من التباين ما بين فلسفة هيوم ومجون أبى نواس .

والعقاد لم يلتزم منهجاً واحداً فى كتاباته اللهم إلا إذا استثنينا عبقرياته الإسلامية فهى تكاد تكون ذات طابع واحد .

ما هذه الأنماط . . ما هى ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



ما هذه المناهج ؟

ما هذه الموضوعات ؟

ثم ما هى القيم الفنية والإنسانية التى تعطيها ؟

ما هى الدلالات الكامنة فيها ؟

أسئلة يحاول هذا الكتاب أن يجيب عنها . . وأن يوفيها . .

تكلم العقاد **عن سمو الإنسان** فى محمد الرسول ، والمسيح ، وأبى بكر الصديق ، وغاندى ، والشيخ محمد عبده وعن عبقريته فى عمر ، **وعن شاعريته** فى عمر بن أبى ربيعة وجميل بثينة ، وعن إبداعه فى شكسبير وبرناردشو وجيته ، **وعن طاقاته الخالقة والفائقة** فى ابن سينا وابن رشد ، وعن **علمه** فى فرانسيس بيكون . **وعن ملكات القيادة فيه** . . فى سعد زغلول ومحمد على جناح ، وبنيامين فرانكلين .

كل فى مجاله، شخصية . . **والشخصية فى فكر العقاد وأدبه قمة الوجود الإنسانى** . . تكامل الكيان البشرى نحو قيمة جديدة . . . **وينطبق هذا عنده على الأمم كالأفراد** . . . فالشخصية بالنسبة إلى الأمم خلق حضارى كالذى فعلته مصر والهند والصين فى العالم القديم .

طريق طويل أو عوالم شتى . . يضل فيها بلا مراء من لا يعرف كلمة السر . . أو سر الكلمة . . الكلمة التى قالها العقاد فى كل واحد من هؤلاء .

هذا السر **هو تقديسه للفرد وتقديسه للذاتية** ، ذلك التقديس الذى يقف وراء الكثير من آرائه وكتاباته ، ولعله مفتاح أشياء كثيرة عنده . . **فتمجيده للديمقراطية** التى تكفل حرية الفرد وأهم ما فيها عنده : (أن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



يشعر كل فرد ، وكل فريق بأنه صاحب رأى فى حكومة بلاده وبغير ذلك لا تتحقق لها مزية ) فالديمقراطية بلغته الحاسمة الحتمية : ( إما أن تكون ثقة شعبية أو لا تكون شيئاً ) وحيثيات هذا الحكم العقادى يفصله تفصيلاً كتابه : ( الحكم المطلق فى القرن العشرين ) .

**وحربه الشيوعية** إذ يستحق كما يقول فى كتابه ( أفيون الشعب ) أن يسمى مذهباً هداماً كل مذهب يقضى على جهود الإنسانية فى تاريخها القديم والحديث ، ولا سيما الجهود التى بذلها الإنسان للارتفاع بنفسه من الإباحية الحيوانية إلى مرتبة المخلوق الذى يعرف حرية الفكر وحرية الضمير .

ثم **ثورته على الشعر العربى التقليدى ومعظمه مدح بل إغراق فى المديح والتبعية** يمسخ شخصية الشاعر ويذيبها فى شخص ممدوحه وهدر القيم الفنية فى أثناء هذا لأن الفن عند هؤلاء وسيلة لا غاية . .

**وتقديره ( العبقريات ) أى التفرد** أى الامتياز الخاص ومقاييسه الفنية . . بل إن الإسلام نفسه لم يأت تفضيله له إلا **باعتباره العقيدة المثلى للإنسان منفرداً أو مجتمعاً ، وعاملاً لروحه أو عاملاً لجسده ، وناظراً إلى دنياه أو ناظراً إلى آخرته ، ومسالماً أو محارباً ، ومعطياً حق نفسه أو معطياً حق حاكمه وحكومته** . . أى أن شمول العقيدة فى ظواهرها الفردية وظواهرها الاجتماعية مما فصله فى كتابه ( الإسلام فى القرن العشرين ) ، هو المزية الخاصة فى العقيدة الإسلامية ، وهو المزية التى توحى إلى الإنسان أنه ( كل ) شامل فيستريح من فصام العقائد التى تشطر السريرة شطرين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



ثم تعيا بالجمع بين الشطرين على وفاق .

والقرآن كتاب الإسلام من مزاياه الواضحة الجديرة بالاعتبار مزية **( التنويه بالعقل والتعويل عليه فى أمر العقيدة وأمر التبعية والتكليف )** . والتفكير فريضة إسلامية أى الذاتية أى احترام الإنسان .

وحين يكون العمل بالعقل أمراً من أوامر الخالق يمتنع على المخلوق أن يعطل عقله مرضاة لمخلوق مثله ، أو خوفاً منه ، ولو كان هذا المخلوق جمهرة من الخلق تحيط بالجماعات وتتعاقب مع الأجيال ) .

كل هذه الخطوط الكبيرة فى شخصية العملاق الذى سافر إلى أسوان ، تنبع من حقيقة كبرى تملأ عليه نفسه وهى **تقديس الإنسان** . . وتقديسه للذاتية هو الذى جعله يرفض تعريف ابن خلكان لشاعره الأثير ابن الرومى ، مع ما فى ظاهر هذا التعريف من مدح بالغ فى رأى كل عين إلا عين العقاد . أما النظم العجيب والتولد الغريب والغوص على المعانى النادرة واستخراجها من مكامنها وإبرازها فى أحسن صورة ، واستيفاء المعنى حتى لا يبقى فيه بقية . كل هذا مما يبهر القارىء ، يراه العقاد ناقصاً بل الناقص فيه هو المهم وهو الأجدر بالتنويه كما يقول . فالغوص على المعانى . . إلخ لهو لعب فارغ كلعب الحواة المشعوذين إن لم يكن صاحبه صادق التعبير مطبوع التمثيل والتصوير ، إذ **المزية الكبرى للشاعر إنما هى الطبيعة الفنية** ( هى تلك الطبيعة التى تجعل فن الشاعر جزءاً من حياته أيًّا كانت هذه الحياة من الكبر أو الصغر ، ومن الثروة أو الفاقة ، ومن الألفة أو الشذوذ . وتمام هذه الطبيعة أن تكون حياة الشاعر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



وفنه شيئاً واحداً لا ينفصل فيه الإنسان الحى من الإنسان الناظم ، وأن يكون **موضوع حياته هو موضوع شعره** وموضوع شعره هو موضوع حياته ، فديوانه هو ترجمة باطنة لنفسه يخفى فيها ذكر الأماكن والأزمان ، ولا يخفى فيها ذكر خلجة ولا هاجسة مما تتألف منه حياة الإنسان ) .

والشعر الجيد يساوى عنده الطبيعة الفنية ( أما المعانى والتوليدات فهى وسائل إلى غاية لا قيمة لها فيما تؤديه وتنتهى إليه ، ويستوى بعد ذلك من أدى إليك سريرة نفسه بتوليد وإغراب ومن أداها إليك بكلام لا إغراب فيه ولا توليد ) ؛

**فالشعر من الشاعر هو إهابه الموصول بعروق جسمه المنسوج من لحمه ودمه** ، وليس لباساً للزينة فى مواسم الأيام ولا لباساً يلبسه للابتذال فى عامة الأيام .

* * *

**حتى الصحافة لم تستطع أن تجنى عليه جنايتها على الأدباء** ، فظل أسلوبه له طابعه الذى لا يتغير ، طابع الدراسة والاستقصاء والتمحيص ، وهذا صدى لفرديته واعتزازه بذاته حتى لتغلب شخصيته فلا تطغى عليها شخصية أخرى فردية أو معنوية . . **إن الصحافة تغلب بالكثرة وهو معتكف متعال متفرد** .

ومما يتصل بصفة ( الذاتية ) عند العقاد ، **إيمانه بالإنسان** . فالعقاد الكاتب السياسى الذى هز الوزارات والعروش كان لا يرى رأى من يبررون القتل السياسى . وكان يأخذ على الشيخ جمال الدين الأفغانى أنه أوعز

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



بقتل الشاه . روى لى مرة أنه شاهد فيلماً يقضم فيه (Attila) زور عدوه فتقزز من المنظر حتى لم ينم ليلته ، فلما وقعت حادثة دنشواى هزته هزًّا عنيفاً تضاءلت معه بشاعة هذا الحادث حتى خيل إليه أن إنجلترا لو تجسمت له لقضم زورها كما فعـل (Attila) تماماً . لقد كان وقت الحادث فى أسوان حين طلعت عليهم اللواء بهذا العنوان ( يا دافع البلاء ) والتفوا حول الجريدة أربعة يقرءون فأغمى على أحدهم وانخرط الباقون فى البكاء . **لقد سمعته يقول إن دنشواى أصابته بصدمة لم تتكرر فى حياته .** ومع أنها حادثة فردية وهناك من الحوادث القومية ما هو أضخم منها ولكنها ، من **الناحية الإنسانية ، كانت تثيره وتفزعه** وكان يتناولها بمنطقه المعهود وعقله الثاقب فيرى أن الاعتزاز بالقوة إلى حد الاستباحة . . استباحة كل شىء يجرح كرامة الإنسان . وكان العقاد مؤمناً بالإنسان إيماناً يبلغ حد التطرف والمغالاة من حفاظ على الكرامة والشخصية **جعله يغضب من التلويح البعيد غضبة إنسان آخر مما يجرح أو يسوء .**

كان العقاد يتمنى على لودفج فى كتابه عن نابليون ألا يستطرد فى أسلوبه بتلك السهولة وذلك الانسجام ، وأن يعمد إلى التركيز من حين إلى حين ( ليستوقف السياق المألوف ويطلع قراءه على مواضع الغرابة والتقديس فى البطل الممتاز كما أطلعهم على شئونه التى تجرى فى الحياة مجرى العادة والعرف المشاع ) [1] .

وحجته فى هذا أن ( العرف المألوف لا يستفز القدوة ولا ينصف

( ١ ) ساعات بين الكتب جـ ٢ ص ١٤٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



العظمة ولا يبعث الشوق إلى المعرفة ، **فإبراز جوانب الغرابة والتنويه بها هو الأساس فى تراجم الأفذاذ** الذين ما كانوا أفذاذاً إلا لأنهم غرباء يختلفون عن سواد الناس ) (١) .

**الذاتية والشخصية الإنسانية هى محور تقديره وتفكيره . من أصالة ذاته هو وقوة شخصيته هو .**

**والعقاد أحب صفاته إليه : الشاعر** . ولكل شاعر شيطان يسكن وادى عبقر – هكذا يقول العرب – وقد ترجم العقاد للشيطان . وحتى هذا يرى الأستاذ عبد الرحمن صدقى أن ( الشيطان الذى أحياه العقاد ، وأماته ، وصور لنا حياته هذا التصوير البديع ، **إنما هو شيطان العقاد وشعره** . . . وهذه النفس الطامحة التى لا حد لآمالها . . هذه النفس التى لا يرضيها شىء ولا تستريح ولا تطمئن إلى شىء ولا ترضى إلا لتسخط ولا تستقر إلا لتتحرك حركة لا حد لها ، حتى إذا خرجت من الحياة وانتهى عهدها بالوجود ، فإن آثارها لا تزال قائمة تعمل فى النفوس وتغريها وتبعث فيها الحركة ، وإن كان الشيطان قد استحال إلى رماد فى القبر ، هذا الشيطان هو سحر صاحب الفن . والذى نلحظه فى كل أثر من آثار العقاد أو الشعراء النابهين أمثال العقاد ) .

لقد كتب العقاد عن « الذاتية الإنسانية » فى مجال تفردها بما فيه

---

( ١ ) ساعات بين الكتب جـ ٢ ص ١٤٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



هو من التفرد والامتياز وكانه يرى نفسه من خلالها أو يرى نفسه من خلال .

* * *

وهو بكتابته عن شخصية من الشخصيات **فذلك علامة تقدير لأنها علامة طريق .**

**فابن رشد موضوع للكتابة بمكانته فى تاريخ الفكر الإنسانى** إذ هو شارح المعلم الأول أرسطو وأكبر الفلاسفة الشراح أثراً فى الغرب من القرن الثالث عشر إلى القرن العشرين .

وهو موضوع للكتابة بمشاركاته فى الفكر والفلسفة والطب والفقه وما يتخللها من معارف ، موزعة كالعلم الطبيعى وما إليه فى زمانه .

**وهو موضوع للكتابة بما رزقه من أنصار ومعجبين من أصحاب الأديان الثلاثة** ممن لم يرزق مثله فيلسوف قبله ولا بعده . وهو هو الذى كان له مصادرون ومضطهدون من أتباع كل دين ، وخدام كل سلطان . ولو أن المصادرين عملوا قصداً وعمداً على نشر آرائه وشروحه لفاتهم بعض النجاح وأخطأهم بعض التدبير كما يقول العقاد .

**وابن رشد موضوع للكتابة بما رزق من بعد الأثر واتساع مداه ، وبما رزقه من قوة الأثر وعمق البحث فيه وشدة الخلاف عليه** . وبين هذين فروق يفصلها العقاد ( فربما كان بعد الأثر واتساع مداه مسألة مسافات وأبعاد ، ولكن قوة الأثر وعمق البحث فيه وشدة الخلاف عليه شىء آخر يقاس بدوافع الحياة والحركة النفسية ولا يقاس بالسنين والأمكنة .

هو شىء فى آفاق النفوس والعقول ، وليس فى آفاق الفضاء أو صفحات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



الأوراق ، وقد رزق ابن رشد من هذا الحظ النادر أوفى نصيب ، فما ظهرت فلسفته فى مكان إلا انتصب فيه ميدان كفاح ، وكان الكفاح عنيفاً والاستبسال فيه من الجانبين على غايته فى مجال الرأى والعقيدة .

ففى أوربا لم تنقطع المناقشة فى الفلسفة الرشدية من القرن الثالث عشر إلى القرن السادس عشر ، ثم كان لها استئناف فى القرن التاسع عشر على يد المؤرخ الباحث أرنست رينان (١٨٢٣ - ١٨٩٢ م) صاحب كتاب حياة المسيح ، وكتاب ابن رشد والرشدية وغيرهما من كتب البحث والتاريخ .

وشملت المعركة معسكر اللاهوت المسيحى ، ومعسكر اللاهوت الإسرائيلى فى وقت واحد ، حيثيات للشخصية كحيثيات الحكم سواء بسواء ) .

**وكتب العقاد عن محمد عبده** ، إذ رآه ( ينبوع قوة روحانية تطوى عوارض الزمن وصغائر الدنيا فيما تفيض به من حياة إنسانية ، يخلص لنا منها - بعد تمحيص الجوهر - عن نفايات الأوشاب والأخلاط-أشرف ما تتحلى به نفس الإنسان ، فى العالم الخالد الذى يذهب بالزبد ويبقى ما ينفع الناس ) .

كتب عنه إذ رآه ( صورة يلتفت إليها طلاب القدوة الحسنة من أبناء هذا الجيل ، فيجدون أمام أعينهم - محمد عبده - إماماً هو أولى أئمة العصر ، أن يأتم به المقتدى فيما اضطلع من أمانة العقيدة وأمانة الفكر ، وأمانة الخير ، وأمانة الحق ، وأمانة الإخلاص للخلق والخالق ، فى كل ما يتولاه الإنسان - الجدير باسم الإنسان - من نية وعمل ، ومن سر وعلانية )(١).

---

(١) كتاب محمد عبده .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



ومن شخصيات العقاد خوالد ، فى أعمالها من القيمة الباقية ما لا ينقضى بانقضاء فترة من فترات الثقافة الإنسانية أو الثقافة الأوربية مثل فرنسيس باكون .

**واستحق ابن الرومى منه ماكتبه عنه بمزية ( التفرد ) بين شعراء عصره .** فهو بينهم الشاعر الذى امتزج فنه بحياته أو انعكست حياته فى شعره وتلك هى الطبيعة الفنية التى لا غنى عنها للشاعر الحق ، والتى لا يكون الشاعر شاعراً إلا بها، أو بنصيب منها. وهى مزية يستحق ابن الرومى من أجلها عند العقاد أن يكتب فيه كتاب مع أن حياته بأيامها المجردة ( لا تخرج لنا قصة نادرة بين قصص الواقع أو الخيال ) .

ولكن **هوانه على الناس لم يقعد به عند العقاد فعده عبقرياً نادراً بما ذخر به شعره من سمات حياته** فكان ( شاعراً فى جميع حياته حيًّا فى جميع شعره ، وإن الشعر كان لأناس غيره ، كساء عيد وحلة موسم ولكنه كان له كساء كل يوم وساعة بل كان له ، جسماً لا تكون بغيره حياة )(٢)

**إن العقاد يعجبه التميز أمارة من أمارات الشخصية** ولو كان هذا التميز فى أخص علائق الإنسان . وأنا هنا **ألمح جميل بثينة** الذى كتب عنه العقاد باعتباره ( أستاذ المدرسة الغزلية التى تجرى على طريقته فى النسيب والتشبيب ، وهى مدرسة الشعراء المحبين الموكلين بمحبوبة واحدة

---

( ١ ) ابن الرومى ص ٣٣٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



ينظمون الشعر فيها ولا ينظمونه فى غيرها، وقلما يطرقون باباً من النظم غير باب النسيب ) .

بهذا استحق جميل شاعراً أن يكتب عنه العقاد .

قد تقول وما قيمة الغزل ليستحق صاحبه الكتابة والتاريخ ؟ وأقول قيمته أن الحب إذا صدق كما صدق من جميل له شأن كبير فى الحياة الإنسانية حتى ليعزو إليه رجال الاجتماع غير قليل من ألوان التطور فى حياة الإنسان . وما جميل صاحب الترجمة ، إلا ( الإنسان حيث كان ، واحد فى كل زمان ومكان ) .

ثم تبقى لجميل سمة أخرى هى فى الحقيقة سمة للعصر كله الذى عاش فيه فكان هو بشعره ممثلاً لها ودليلاً عليها تلك السمة هى **شيوع الغزل وأحاديث الغزل ومواقف الغزل فى بيئة الحجاز** أو بيئة جميل حتى لا ينجو منها من عاش فيها ولو كان مطبوعاً على الجد والطموح كمصعب بن الزبير صاحب قصتى أم منظور والشعبى .

وهنا تكون الترجمة لجميل، « **بعض تاريخ وصورة عصر** » .

* * *

والعقاد يقسم النوابغ من أصحاب الرسالات والترجمات **إلى فئتين** :

( فئة تظهر فى أوانها لأن أسباب نجاحها تمهدت وتم لها النجاح قبل فوات ذلك الأوان . وفئة أخرى تظهر لأن الحاجة إليها قد بلغت غايتها ، وهى التى تظهر لتحقق تلك الحاجة التى تبحث عن صاحبها ، وله منها معين يذلل صعابها ويهدى إلى طريقها ) .